

تجار الأدب . . .

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني



لا نقصد أولئك الذين يبيعون الكتب ناشرين أو وراقين ، بل نعى أولئك الذين يتصدون للآداب والعلوم والفنون والفلسفة فيؤلفون فيها ، ويطلعون على الجمهور بشمرة قرائتهم ، لا يخدمون بذلك أدباً ولا يفيدون علماً ، بل يطلبون ربها ويطمعون في ثروة تجعلوا من الأدب تجارة ، وأزّلوا العلم منزلة السلع الرخيصة .

ومن سوء الحظ أن هذه الظاهرة صحت الحرب الأخيرة منذ بدايتها ، إذ انقطعت أسباب الحصول على الورق ، وتسنى لهؤلاء القوم بأساليب لا تمت إلى الشرف أبصلة أن يحصلوا على الورق اللازم للطبع ، ووجدوا المطابع متعطشة فدفعوا إليها بهذه الثمار الفجة ، وخرجت إلى السوق هذه الكتب المجيبة ، ليس فيها أثر من جهد أو بارقة من تفكير ، وإنما هي ألفاظ مرصوسة يسود بها أصحابها صحائف الورق ، ويملاؤن دفتى الكتب .

وكيف تريد أن يكون الأمر غير ذلك ، وبعض هذه الطائفة يخرج في كل شهر كتاباً ، لو أنفق فيه عالم بتمام بالضمير ويتصف بالتثبت أعواماً لوجد أنه في حاجة إلى مزيد من الأعوام .

سئل أحد الناشرين : كيف تطبع لفلان ؟ فقال : « إن الجمهور يقبل عليها كما يقبل على الفول السوداني » وهو تشبيه يقصد به إلى المدح والذم على السواء . ولعله كان يرى إلى التحقير فاعهدنا أن الكتب توصف بالتشبهات المادية القليلة الشأن .

ولقد مضى زمن الحرب الذي انقلب فيه الأوضاع ، فعادت سوق الأدب إلى سابق حريتها ، ووجد الفضلاء سيولهم إلى المطابع بالطرق الكريمة التي لاتناقى الذوق أو الشرف ، فأنكشف أمر أولئك القوم وبادت كتبهم بالخسران ، وزحمت رفوف الوراقين وأكبر الظن أن مصيرها سوف يكون إلى باعة « الفول السوداني » يلقون فيها بضاعتهم في « القراطيس » .

ولعلك تعجب مني وتساءل عن السر في بضاعة القوم كيف يتسنى لهم التأليف في كل شهر ، وهل اتسمت مداركهم ، وسمت

عقولهم ، وارتقى تفكيرهم إلى الحد الذي يسمح لهم بتسويد صحائف كتاب جديد كلما طلع الهلال الجديد .

إنهم يفعلون أحد أمرين : الأول السطو على بعض الكتب الأجنبية ، ثم نقل فكرتها نقلاً خاطئاً ، ثم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم زوراً وبهتاناً . وهذه المسألة تعرف بالسرقة الأدبية . وهؤلاء هم لصوص الأدب . يريدون أن يقول الناس عنهم إنهم من كبار المؤلفين الذين يرجع إليهم ، وهي زعة تخلو من الأمانة على كلا الحالين ، فهم غير أمناء في نسبة موضوع إلى أنفسهم وحقيقته لغيرهم ، وغير أمناء في نقل الفكر ، ولو كانوا قادرين على النقل وحسن التعريب لأعلنوا ذلك .

والأمر الثاني أن يتجهوا إلى الترجمة الصريحة ، وقد زادت هذه الحركة في الأيام الأخيرة ولكننا نرى المتصدين لها ، أو أغلبهم ، لا يحسنون التصرف ولا يجيدون التعريب ، أقله خبرتهم ، ونقص علمهم بالموضوع ، وعجزهم في كلتا اللغتين الأجنبية التي ينقلون عنها ، والعربية التي ينقلون إليها .

ولكنه يريق السكب يستهوى هؤلاء وأولئك فيدفعهم إلى التسرع ، والسرعة كما قال الزيات في مطلع كتابه « دفاع عن البلاغة » إحدى آفاتنا . وهي لعمري إن كانت مزية الحضارة الحديثة فهي آفة الإنتاج الجيد في كل شيء ، مادياً كان أم معنوياً ، وهي في الآثار العلمية والأدبية أخطر .

كنا في صدر الشباب نحضر العلم في الجامعة المصرية على أستاذنا الدكتور منصور فهمي ، ومن أقواله الماثورة التي لا يزال طلابه يحفظونها عنه ويروونها في المناسبات « اطلبوا العلم للعلم » وكان بعضنا يتحدث إليه في وجوب السعي لدى أولى الأمر في الحكومة ليُمسحوا المجال للتخريجين في الجامعة والحاصلين على إجازة كلية الآداب في وظائف الدولة ، فكان يرد عليهم بقولته الماثورة « اطلبوا العلم للعلم » . وما كنا في ذلك الوقت نحسن تفسير هذا الكلام أو نفهم مراميهِ البعيدة . هل يطلب العلم للعلم وهل يفضل أحدنا العلم على المال ؟ وهل يعني العلم وحده في سد مطالب الحياة ؟

لأنقول إن العلم سبيل الحصول على المال ، ولو عكسنا القضية لصح المقال ، إذ الواقع من التاريخ أن المال كان غذاء العلم ، ولقد

يظلمون على الناس بشرة أفكار جديدة ينتقدون فيها آراء الشائعة من قديم الزمان ، أما مؤلفو مصر في هذا الزمان ، فإنهم لا يفكرون تفكيراً جديداً ، ولا ينتقدون قديماً ، ولا ينتقدون كشرافاً حديثة ، بل يسخون كتب غيرهم ويفرون عليها .

مهما يكن من شيء ، فأنا من أنصار الديمقراطية والحرية ، ولا أحب أن أحجر على فكر الناس ، ولا على الطريقة التي يذيعون بها أفكارهم ، ولكن من واجب الناقد أن يبصروا الجمهور بحقيقة ما يظهر من تأليف ، وقد كثر عندنا المتعلمون الذين يحسنون تقدير المؤلفين ... فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيعمك في الأرض .

أحمد فؤاد الأهواني

جامعة فاروق الأول

كلية الطب

إعلان

تمن كلية الطب بجامعة فاروق الأول عن وجود وظيفة معيد بالدرجة السادسة خالية بقسم الطب الشرعي بالكلية بالشروط الموضحة وتقدم الطلبات على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح برسم عميد كلية الطب باسكندرية في ميعاد غايته ١٩٤٦/١٢/٣١ . ومن يكن موظفاً بإحدى المصالح الحكومية فيقدمه عن طريق مصلحته .

١ - يشترط أن يكون حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة .

٢ - أن يكون سبق اشتغل بوظيفة طبيب امتياز بمستشفيات الحكومة .

٦٤٢٣

عاش العلماء في قديم الزمان على بذل الملوك والأمراء والأغنياء وما كانوا ينفقونه عن مسعة في سبيل العلم ، وأوقاف الأغنياء المحبوسة على مصلحة العلم والعلماء خير شاهد على ذلك . وكان العلماء من جبهتهم زاهدين لا يحفلون بلبس أو مشرب أو مأكل لأنهم هم كلة منصرف إلى طلب العلم ولتسهم في تحصيله . وكانت أيديهم ترخر في بعض الأحيان بالمال فينفقونه في أوجه الخير والبر .

الخلافاً إذن في الغاية ، هل العلم غاية في ذاته تطلب لذاتها أم وسيلة لغاية أخرى هي المال ؟

ولا سراة في أن التضحية بالعلم والأدب في سبيل الأهداف المادية هو الإنحطاط والإسفاف ، ومن كانت غايته الثروة فليطلبها في تجارة السلع المختلفة فهي أكثر للمال إدراكاً . ولقد حكى أرسطو في كتاب السياسة أن أحد فلاسفة اليونان الأقدمين عيروه القوم بقلة ذات اليد والانصراف عن الدنيا ، فاعتزم في نفسه أسراً ، فذهب في الشتاء إلى أصحاب المعاصر واستأجرها منهم بأجر زهيد ، فقالوا : هذا مجنون ماذا يفعل بالمعاصر في هذا الوقت وليس لها عمل ؟ فلما جاء الصيف ، وأراد الزراع عصر المنب لاستخراج النبيذ ، طلب منهم أجرة مضاعفة ، ولم يسمعهم إلا الدفع لأنه كان قد احتكر جميع المعاصر . وأرى من هذا الأسر ثروة كبيرة ، فأثبت للقوم أن الفلاسفة لو أرادوا المال لحصلوا عليه ، ولكن بغير طريق الفلسفة !

والسؤال الآن : هل ترك هذه الطائفة أحراراً في أعمالهم يسيثون إلى العلم والأدب ، ويفسدون الذوق ، ويضيعون الخطأ ، ويضيعون الباطل ، أم يوكل أمر الكتب إلى هيئة تميز بين الثمت والسمن والصحيح والفساد فلا تجيز إلا الصالح ؟

يقول قوم نحن في عصر الديمقراطية وأساسها الحرية وعلى الخصوص حرية الرأي والفكر ، فكيف تريد أن تحد من هذه الحرية التي ناضلت البشرية في سبيلها أجيالاً طويلة ؟ إنكم لو قطعتم ذلك ، لردتم الإنسانية إلى أظلم عصورها وأحلك أزماتها ، يوم كان عقاب الأحرار أن تحرق كتبهم ويلقى أصحابها في غياهب السجون .

والقياس هنا مع الفارق ، لأن فلاسفة القرون الوسطى كانوا